Current Studies in Nahj-ul-Balaghah Open Access

Vol. 7, No. 2, (Issue 14) Spring & Summer 2024: 129-140
DOI: 10.30473/anb.2026.76635.1478

ORIGINAL ARTICLE

Critical discourse analysis in Nahj-ul-Balaghah: The concept of the Caliphate as a model

Ebrahim Namdari[1*], Javad Khanlari[2], Ayoub Amraei[3]

1. Associate Professor, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Ayatollah Boroujerdi University, Boroujerd, Iran.
2. Assistant Professor, Departmant of Arabic Language and Literature, Payam Noor University, Tehran, Iran.
3. Associate Professor, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Ayatollah Boroujerdi University, Boroujerd, Iran.

Correspondence:
Ebrahim Namdari
Email: enamdari@abru.ac.ir

Received: 24 Feb 2025
Accepted: 15 Feb 2026

How to cite
Namdari, E., Khanlari, J. & Amraei, A. (2024). The Right to Freedom of Expression: From Human Rights to its Manifestations in Alawite Thought: Lessons in Moral Judgment. Current Studies in Nahj-ul-Balaghah, 7(2), 129-140.
(DOI: 10.30473/anb.2026.76635.1478)

ABSTRACT

Critical discourse theory analyzes the textual context along with the external factors involved in the production of the text (situational context). Meanwhile, how to represent discourse confrontations in historical texts is one of the most essential topics of critical discourse analysis theory. Sermons play an essential role in strengthening or weakening the discourse by oral production and real reection of the ruling values of the society, play an essential role in strengthening or weakening discourse. An examination of the sermons of Imam Ali (AS) during his caliphate and the public allegiance of the people to him after the holy Prophet (PBUH), can explain why the Alawi discourse contrasts with the discourses that govern society. After the death of the Holy Prophet (PBUH), the belief in an elective caliphate turns into a dominant discourse; while the narrative documents of Imamate and Caliphate are mentioned in Shia and Sunni narrative communities and Islamic scholars have acknowledged it. This research using the descriptive and analytical method based on Nahj al-Balagha, examines and analyzes the critical discourse of the words of Hazrat Ali (a.s) in the sermons of Nahj-ul-Balaghah about the concept of caliphate. The results of the discussion show that Imam Ali (AS), as the successor and caliph of the rightful Prophet of Islam, has made the reproduction of the discourse of truth versus falsehood the focus of his sermons and speeches in Nahj-ul-Balaghah, and by utilizing linguistic and ideological structures in criticizing the dominant discourses, he seeks to imitate and replicate the prophetic discourse on the issue of guardianship and guardianship.

KEYWORDS

Imam Ali (peace be on him), Nahj-ul-Balaghah, caliphate, critical discourse analysis.

Copyright © 2024 The Authors. Published by Payame Noor University.
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). Non-commercial uses of the work are permitted, provided the original work is properly cited.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

السنة السابع، العدد الثاني (المتوالي ١٤) ربيع و صيف، ١٤٠٣ش/ ١٤٤٦ق. (١٤٠-١٢٩)

DOI: 10.30473/anb.2026.76635.1478

«مقاله پژوهشی»

تحليل الخطاب النقدي في نهج البلاغة؛ مفهوم الخلافة أنموذجا

إبراهيم نامداري[١*]، جواد خانلري[٢]، أيوب أمرائي[٣]

١. أستاذ مشارك في قسم العلوم القرآنية والحديث بجامعة آية الله بروجردي، بروجرد، إيران.

٢. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بيام نور، طهران، إيران.

٣. أستاذ مشارك في قسم العلوم القرآنية والحديث بجامعة آية الله بروجردي، بروجرد، إيران.

المؤلف المسؤول:

إبراهيم نامداري

بريد االكتروني: enamdari@abru.ac.ir

تاريخ القبول: ١٤٤٧/٠٦/٠٣

تاريخ الاستلام: ١٤٤٧/٠٨/٢٦

إرسال الاستشهاد إلى:

نامداري، إبراهيم؛ خانلري، جواد و أمرائي، أيوب. تحليل الخطاب النقدي في نهج البلاغة؛ مفهوم الخلافة أنموذجا. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*، ٧(٢)، ١٤٠-١٢٩.

(DOI: 10.30473/anb.2026.76635.1478)

المخلص

إنّ التحليل النقدي لنظرية تحليل الخطاب، مع التركيز على السياق النصّي والعوامل الخارجية المؤثّرة في إنتاج النص، وبخاصة السياق الذي أصبح فيه تمثيل التناقضات الخطابية في النصوص التاريخية، يُعدّ أحد أبرز مباحث نظرية التحليل النقدي للخطاب. كما أنّ الخطب، بإنتاجها الشفهي وانعكاسها الواقعي للقيم السائدة في المجتمع، تلعب دوراً رئيسياً في تعزيز الخطاب أو تضعيفه. يتبيّن من خلال دراسة خطب الإمام عليّ (ع) في فترة خلافته وبالبيعة العامة من الناس له بعد النبي الأكرم (ص) سبب التناقض بين الخطاب العلوي والخطابات السائدة في المجتمع. تحول الإيمان بالخلافة الانتخابية إلى خطابٍ سائد بعد وفاة النبي الأكرم (ص)، في حين أن المستندات الروائية للإمامة والخلافة المنصوص عليها قد ذُكرت في المجاميع الروائية للشيعة وأهل السنة، وقد أقرّ بها علماء الإسلام. يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي-التحليلي وبالاستناد إلى نهج البلاغة، ليقدّم درساً في الخطاب النقدي من أقوال الإمام علي (ع) في خُطَبِه حول مفهوم الخلافة ويحلّلها. تشير نتائج البحث إلى أنّ الإمام بوصفه وصياً وخليفةً بعد النبي (ص)، جعل محور خطبه وكلماته في نهج البلاغة إعادة إنتاج خطاب الحقّ ضد الباطل، وحاول بالاستعانة من التراكيب اللغوية والآيديولوجية في انتقاد الخطابات الحاكمة أن يعيد إنتاج الخطاب النبوي في أمر الوصاية والولاية.

الكلمات الدليلية:

الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، الخلافة، تحليل الخطاب النقدي.

حق نشر هذه الوثيقة يعود لمؤلفيها. ١٤٤٦. ناشر هذه المقالة هو جامعة بيام نور.

تم نشر هذه المقالة بموجب الشهادة التالية ويسمح بأي استخدام غير تجاري لها بشرط االستشهاد بالمقالة بشكل صحيح وبما يتوافق مع الشروط المذكورة في العنوان أدناه.

Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

المقدمة

لقد نسب الله سبحانه وتعالى في آيات عديدة نصب الإمام وجعله إلى نفسه كما فى الآية الكريمة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (البقرة/٣٠)؛ والآية ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾ (الأنعام/١٢٤)؛ و﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء/٧٣)، كما أن الرسول محمد (ص) يجيب في بيان صريح إلى أولئك الذين ربطوا قبولهم للإسلام بتفويض أمر الخلافة إليه، بأنّ «أمر الإمامة والخلافة خاص بالله يضعه حيث يشاء» (التميمي البستي، ١٣٩٥: ٨٩/١؛ الذهبي، ١٤٠٧: ٢٨٦/١). ويعتبر الشيعة اقتداءً بتعاليم الوحي الإمامة «فضلاً إلهياً» و«عهداً إلهياً» (الكاشاني، ١٣٣٦: ٢٨١/١) حيث يكتسب مصداقيته ومشروعيته بالنص والتنصيب الخارق للعادة (الطبري، ١٤١٣: ١٨؛ الشعراني، ١٣٨٦: ١٤٦/١؛ مكارم الشيرازي، ١٣٨٦: ٨٣/٧). «ثم إنّ نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين» (ابن خلدون، د.ت: ١٩١/١). فقد بذل الإمام علي (ع) بناءً على التكليف القرآني قصارى همته العالية في الموعظة والحكمة والجدال الحسن (النحل/١٢٥) وبين المسار الصحيح للدين في قيادة رسول الله (ص) ليتقوى إيمان المهتدين بهدايته وليستحكم، ولتتمّ الحجة على قصيري النظر الذين زرعوا النفاق والتفرقة في المجتمع الإسلامي. أشار الشريف الرضي إلى بيان الإمام حول استمرار الحق الطبيعي في الخلافة كالتالي: «لنا حقّ فإن أُعطيناه وإلّا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السّرى». (شريف الرضي، ١٤١٤: ٤٧٢).

بيان المسألة

إن مصطلح تحليل الخطاب النقدي متجذر في علم اللغة النقدي، ويتجاوز علم اللغة الوصفي الذي يركز فقط على هياكل وشكل النص، وينظر كذلك إلى الوظائف الاجتماعية. لتحليل الخطاب النقدي مبادئ ثلاثة تطرح كأساس للعمل: أولا اللغة التي نستخدمها تعبر عن وجهة نظر معينة للواقع؛ ثانيا يعتمد التنوع في أنواع الخطاب على العوامل الاجتماعية، والفروق الاجتماعية تؤدي إلى التنوع اللغوي؛ ثالثا استخدام اللغة هو جزء من العملية الاجتماعية وليس مجرد انعكاس للعملية الاجتماعية (سلطاني، ١٣٨٤: ٥١). إحدى الأبعاد المهمة في نهج البلاغة هو نقد الخلافة و الحكومات التي أعقبت وفاة النبي (ص). فتح الإمام علي(ع) باب نقد الحكومات بعد وفاة النبي الأكرم (ص)، حيث انتهى إلى بيان نقاط الضعف وأظهر أن مشاكل الحكومات الثلاثة والخلفاء السابقين له، قد أظلّت على فترة خلافته التي دامت خمس سنوات وتسببت في حروب مدمرة للناكثين والقاسطين والمارقين (فيض الإسلام الأصفهاني، ١٤٠٥: ٣/ ٤٦). المسألة الرئيسية في خطاب الإمام علي (ع) هي التصريح باغتصاب الخلافة، الذي تجلى تعبيره السلوكي في عدم مبايعة الخلفاء، ووجد مقاربته النظرية في كلام الإمام الذي يتكرر في المصادر الإسلامية الموجودة (ابن حمدون، ١٩٩٦: ٢٣٠/٥؛ البلاذري، ١٤١٧: ٦٦/٣؛ المفيد، ١٤١٣: ١٢٣). تُعرَّف الحكومة في كلام الإمام علي (ع) على أنها مصدر للخطأ والانحراف، وقد بادرت بشكل استبدادي إلى الاستيلاء على السلطة (الهاشمي الخوئي، ١٤٠٠: ١٣٢/٩). نقل في صحيح البخاري أنّ الإمام علي (ع) قال لأبي بكر: «أنا أحقّ بالأمر منك، ولا أبايعك، وأنت أحق أن تبايعني، وقد غصبت الخلافة منّا أهل البيت» (ابن قتيبة الدينوري، ١٣٨٧: ١٨/١).

من المكونات المهمة الأخرى في خطاب الإمام علي (ع) وبيانه، أن يلفت انتباه المخاطب إلى تفوق الإمام وعدم مساواة مدّعي الخلافة في فضائله وكمالاته. وأوّل خطبة من خطب الإمام الاحتجاجية في جمع صحابة رسول الله (ص) بنيت على أمور تجعل المخاطب يميل عقلياً إلى خيار الجدارة والاستحقاق؛ في حين أنّ الاستبداد والخفقان الحاكم على نظام السلطة يمنع تبلور المنطق والاستدلال. وقد نقل ابن قتيبة الدينوري الخطب الأولى للإمام بعد واقعة السقيفة على النحو التالي: «فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحقّ الناس به. لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن

رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحقّ بُعداً» (ابن قتيبة الدينوري، ١٣٨٧: ١٩/١). وقد بين الإمام علي (ع) للمبايعين له عدم مساواة الآخرين بآل رسول الله (ص): «لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (ص) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ. الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٤٧). يسعى هذا البحث للإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هي أهم المعايير والمميزات الخطابية في خطاب الإمام علي (ع) للخلافة ومشروعيتها؟

٢. كيف ساهم خطاب الإمام علي (ع) من خلال نقد تحليل الخطاب في المجتمع أن يبيّن الخطاب المطلوب ومن ثمّ يقدّمه لدى المجتمع؟

٣. ما هو مفهوم الخلافة من وجهة نظر الإمام علي (ع) وفي ضوء نظرية تحليل الخطاب؟

خلفية البحث

لقد أجريت دراسات عديدة حول نهج البلاغة (خطبه ورسائله وحكمه) لكنّه لم تطرق دراسة حتى الآن إلى عنوان «تحليل الخطاب النقدي في نهج البلاغة؛ مفهوم الخلافة أنموذجا» ومع ذلك، فيما يلي بعض الدراسات التي أجريت حول نهج البلاغة:

الف: هناک مقال عنوانه «التحليل النقدي لخطاب العدالة التوزيعية في حياة العلويين (ع) بناءً على الرسالة ٥٣ من نهج البلاغة» لمجتبى كراوند والآخرون (١٤٠١)، يتناول انعكاس الآيديولوجية والسلطة في الخطابات ويدرّس كيف تتجه الخطابات نحو استقرار أو تغيير الوضع السياسي القائم. تُظهر نتائج الدراسة أن الإمام علي (ع) اقترح طرقا خمسة لتقسيم الثروة المناسب: ١. تحديد الوضع الاجتماعي للفروع والمستويات المختلفة لرفاهية المجموعات. ٢. زيادة توزيع الثروة والدخل على طبقات المجتمع السفلى، وتقليصه على الطبقات العليا. ٣. التوزيع حسب جهد الأفراد واستحقاقاتهم. ٤. تحويل الضرائب إلى القطاع العام. ٥. الاهتمام بالصالح العام؛

ب: أمّا المقال الآخر فعنوانه «تحليل مبادئ الإمام علي (ع) السياسة في الرسالة ٦٤ من نهج البلاغة على أساس منهج فركلاف (تحليل الخطاب النقدي)» للسيد محمد موسوي بفرويي والآخرون (٢٠١٠)، استخدم منهج تحليل الخطاب النقدي لفركلاف فى ثلاثة مستويات من الوصف والتفسير والتوضيح، حيث يشير إلى أنّ معاوية كخليفة بزعمه يستفيد من بعض الأحداث، ويحاول أن ينزع الشرعية من حكومة الإمام علي (ع) حتى يضفي الشرعية على حكومته، بينما أدرک الإمام علي (ع)، أولاً مؤامرات الخصم وأزال أثرها كما اعتمد على المحاور الأصلية والمحددة الشرعية ليكون ردّه وفقًا لرسالة معاوية.

ج: وفي مقال آخر عنوانه «تحليل نقدي للخطاب في نهج البلاغة استناداً إلى نظرية نورمان فركلاف» لعلي قهرماني وفاضل بيدار (٢٠١٩)، يحاول البحث استناداً إلى نظرية فركلاف، أن يحلّل كيفية تفاعل الخطاب العلوي مع الخطاب الخوارجي في ثلاثة مستويات: الوصف والتفسير والتوضيح. ويهدف إلى توضيح التباين بين إيديولوجية الإمام وإيديولوجية الخوارج في الخطب، وتأثير الخطاب العلوي على الأحداث السياسية والاجتماعية في المجتمع، وتأثير الخطاب العلوي على الخطاب الخوارجي.

د: هناك مقال آخر عنوانه «تحليل نقدي لخطاب رسالة الإمام علي (ع) إلى معاوية»، لصفائي وسلطاني (٢٠١٦)، أحيث يشير إلى دراسة الرسالة الثامنة والعشرين من نهج البلاغة إلى معاوية، والتي تحظى بمكانة خاصة بين رسائل الإمام علي (ع). أظهرت نتائج هذه الدراسة أن خطاب شرعية الإمام، بهدف ترسيخه وتعزيزه وتقويته في مواجهة الخطاب المضاد (معاوية)، قد نشر «نظرية نحن أو إيّاكم» في الرسالة، حيث اختار مفردات مناسبة ودقيقة من بين الإمكانيات اللغوية حتى يضفى عليها الشرعية.

ضرورة البحث وأهميته

نعتقد أنّ كل حكومة تستحق النقد، لأنّه من خلال النقد والتحليل تُكتشف مواطن ضعف الحكومات وقوتها. ونتيجةً لذلك، يزداد وعي الناس ويتخذون خطواتٍ أكثر وعياً في اختيار القادة والمسؤولين، ويمكن للقادة والمسؤولين أن يحققوا نجاحاً وازدهاراً في عملهم بالاستفادة من التجارب الماضية. وللأسف، يوجد بين الأمة الإسلامية الكثير ممن لا يتحملون انتقاد حكم الخلفاء، ويغمضون أعينهم وآذانهم عن قراءة أو سماع أي نقد، سواءً كان نقداً لحكم أمير المؤمنين علي (ع) أو الخلفاء الثلاثة. اعتمدت الدراسة على أساسها نهج البلاغة نفسه، لأنه أوثق من أي رواية وأكثر موثوقية من أي تاريخ. بما أنّ علماء الشيعة والسنة اختلفوا رأياً حول خلافة الإمام علي (ع)، تتناول هذه الدراسة آراء علماء الشيعة والسنة حول خلافته والخلفاء السابقين على أساس خطب نهج البلاغة بهذا الشأن. يرى الشيعة أن اختيار الإمام مبني على النص الإلهي ويدلّ على ذلك آيات القرآن الكريم وروايات عديدة، منها خطب نهج البلاغة؛ أمّا بعض علماء السنة فبنوا اختيار الإمام، على البيعة، نافين بذلك أصل النص. ويتمثل محور جدل معارضي النص أحياناً في بيعة الصحابة وإجماعهم بعد وفاة رسول الله (ص) على خلافة أبي بكر، وموقف الإمام علي(ع) الخاص ورفضه قبول الخلافة بعد مقتل عثمان.

تحليل الخطاب

إذا أردنا أن نبحث عن تاريخ تحليل الخطاب، الذي أصبح اليوم اتجاهاً هامّا فى الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية، استطعنا أن نردّ جذروه إلى الحركات النقدية اللغوية (السيميائيات)، أو التأويلية، أو هرمنيوطيقا غادامر. من البديهي أن الأسس الفكرية لتحليل الخطاب تتجاوز تحليل النص أو الكتابة أو تحليل الكلام (إيلي، د.ت: ٥٨). تحليل الخطاب، أو تحليل الخطاب النقدي، هو إنشاء آلية مناسبة وتطبيقها في اكتشاف وتوضيح العلاقة بين الكلام أو النص ووظائفه الفكرية الاجتماعية (يار محمدي، ٢٠٠٤: ١٤٣). يعد تحليل الخطاب النقدية من الآليات اللغوية الحديثة التي تبحث عن العلاقات الكامنة بين اللغة والإيديولوجيا للمجتمع. والنتيجة التي ترتتب على هذا البحث هي كشف الغطاء عن القيم الخلقية والآيديولوجية التي تنطوي ضمن الخطاب النقدي. (كاظمي وآخرون، ٢٠٢٢: ٢٥٧)

تحليل الخطاب النقدي

يُعرّف الفكر من منظور تحليل الخطاب النقدي، بانتقال المعنى من نص إلى آخر، ومن خطاب إلى آخر، ومن حدث إلى آخر. حيث يمكن اعتبار البُنى الاجتماعية كعوامل محتملة تتحقق فعلياً في صورة أحداث اجتماعية. وتنشأ العلاقة بين البُنى الاجتماعية والأحداث من خلال الأفعال أو الممارسات الاجتماعية. وتراقب هذه الممارسات الاجتماعية عملية الاختيار بين الخيارات الممكنة في البُنى الاجتماعية لتصبح واقعاً ملموساً (آقاگل زاده، ٢٠١٢: ٥-٧). يرمي تحليل الخطاب النقدي إلى كشف النقاب عن وجه الإيديولوجيا الكامن وراء النص. انطلاقا من ذلك يمكن دراسة إيديولوجيا الخطاب النقدي عبر الآليات اللغوية الفعالة ضمن الآراء الاجتماعية ذات الصبغة اللغوية؛ مما يؤدي إلى استنتاج القضايا السياسية واالاجتماعية منها؛ بناء على ذلك: إن إحدى الغايات الأساسية في تحليل الخطاب النقدي، هي إزاحة الستار عن الدوافع التي تكمن وراء آلية الخطاب ومستوياتها والتي تتحول إلى الإيديولوجيا أو القناعة المشتركة لدى أفراد المجتمع. يعد "نورمن فريكالف" من الشخصيات البارزة في حقل الخطاب النقدي الذي ينظر إلى الخطاب النقدي كأداة تستخدم لتقصي التغييرات الاجتماعية والثقافية إلى جانب أدوات أخرى. (كاظمي وآخرون، ٢٠٢٢: ٢٥٩)

الخلافة لغة واصطلاحا

«الخلافة» النيابة عن الغير إمّا لغيبة المنوب عنه، وإمّا لموته؛ وإمّا لعجزف؛ وإمّا لتشريف المستخلَف (الراغب الأصفهاني، ١٤٠٤: ٢٩٤). وجمعه الخُلفاء قَالَ الجَوْهَرِيُّ: جاؤُوا بِهِ علَى الأَصْلِ، مِثْل: كَرِيمَةٍ وكَرَائِمَ، قَالُوا أَيضا: خُلَفَاءُ، مِن أَجْلِ أَنَّه لَا يَقَعُ إِلاَّ علَى مُذَكَّرٍ، وَفِيه الهاءُ، جَمَعُوه علَى إِسْقاطِ الهاءِ، فصارَ مِثْلَ: ظَرِيفٍ وظُرَفَاءَ لأَنَّ فَعِيلَة بالهاءِ لَا تُجْمَعُ علَى فُعَلاَءَ (الزبيدي، ١٤١٤:

٢٦٣/٢٣-٢٦٥). والخليفة في القرآن الكريم أي خليفة الله في الأرض، ولا تكتمل هذه الخلافة إلا إذا كان الخليفة خليفةً في جميع جوانب الوجود والأعمال والأحكام والتدابير (الطباطبائي، ١٣٩٣: ١١٥/١؛ ١٩٤/١٧-١٩٥).

نصب الخليفة

«أمّا وَاللهِ لقَد تَقَمَّصَها فُلانٌ (ابنُ أبى قُحافَه) وإنَّهُ لَيَعلمُ أنَّ مَحَلّى مِنها مَحَلُّ القُطبِ مِنَ الرَّحَى يَنحَدِرُ عَنّى السَّيلُ وَلا يَرقى إلىَّ الطَّيرُ فسَدَلتُ دُونَها ثَوباً وَطَويتُ عَنها كَشحاً وَطَفِقتُ أرتَئِى بينَ أَن أصولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أو أَصبِرَ عَلَى طَخيَهٍ عَمياءَ يَهرَمُ فيهَا الكبيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغيرُ وَيَكدحُ فِيهَا مؤمِنٌ حَتَّى يَلقَى رَبَّهُ فَرَأَيتُ أَنَّ الصَّبرَ عَلَى هَاتَا أحجَى فَصَبَرتُ وَفِي العَينِ قَذًى وفِي الحَلقِ شَجاً أرَى تُراثِي نَهباً» (خطبه/٣) قال الإمام علي (ع) في هذه الخطبة: «اعلموا، والله لقد لبس فلان ثوب الخلافة، ويعرف أن موضعي من الخلافة كمحور الرحى، يتصبب منّي سيول المعرفة والعلم، حيث لاتستطيع الطير الطيران إلى قمتي العالية، أمّا مع هذا فجعلت بيني وبين الخلافة ستاراً وتركتها، وتجاهلتها، وأعرضت عنها. ثمّ فكرت: هل أضرب بيد مكسورة وأهاجم عليهم وحدانا، أم أصبر في ذلك الفضاء المظلم، فضاء يفنى فيه الكبار ويكبر فيه الصغار، ويظل المؤمن يعاني حتى يلقى ربه؟ فرأيت الصبر في ذلك المكان أليق وأفضل، فاخترت سبيل الصبر، وأنا كمن في عينه قذى، وفي حلقه عظم يحزنه ويصيبه بالهمّ والغمّ، ويرى ميراثه منهوبا» (مكارم الشيرازي، ١٣٨٦:١ ٣١٧/١٣٨٦-٣٣٥؛ زارع، ١٣٨٤: ١٧٩-١٨٣). الشقشقية من أشهر خطب نهج البلاغة. ينتقد فيها الإمام علي (ع) أفعال الخلفاء ويشكك في مبدأ خلافة كل منهم. كما يشير إلى اندفاع الناس إلى بيعته، وكذلك إلى الفرق الثلاث: الناكثين والقاسطين والمارقين، ويذكر أخيراً سبب قبوله للحكومة. وهي الخطبة الثالثة وفقاً لترتيب معظم روايات نهج البلاغة المختلفة. إنّ اسم الخطبة مأخوذ من الجملة الأخيرة من الخطبة التي قال الإمام علي (ع) رداً على طلب ابن عباس بمواصلة الخطبة: «تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت»؛ فرفض طلب ابن عباس بالاستمرار في الكلام، لأن مقتضى الحال الذي هيأ الإمام (ع) لإلقاء تلك الكلمات النارية الحساسة قد تغير، إذ قام أحد الحضور وسلم رسالة إلى الإمام، مما صرف انتباه الإمام (ع) إلى شؤون أخرى (الشريف الرضي، ١٣٨٨: ٤٨).

اختلف شارحو نهج البلاغة حول زمن إلقاء الخطبة. بناءً على التفاصيل التاريخية للخطبة، بما في ذلك ذكر الإمام الناكثين (أصحاب الجمل، جمادى الأولى سنة ٣٦هـ)، والقاسطين (معاوية وأصحابه في صفين، أواخر سنة ٣٦هـ وأوائل سنة ٣٧هـ)، والمارقين (خوارج النهروان، أواخر سنة ٣٧هـ أو أوائل سنة ٣٨هـ)، ووجود ابن عباس في الكوفة، يفترض أنّ الإمام ألقى الخطبة في أواخر سنة ٣٨هـ أو أوائل سنة ٣٩هـ (الطالقاني، ١٣٧٤: ١٢٨). حدد الشيخ مفيد وقطب الدين الراوندي مكان الخطبة في «الرحبة» (مفيد، ١٤١٤: ٢٨٧/١؛ الراوندي، ١٤٠٦: ١٣٣/١). مع أن كلمة «الرحبة» قد تحمل معاني متعددة، إلّا أنّه يبدو أنّ المقصود هنا هو المكان الذي يقع وسط صحن مسجد الكوفة، حيث كان الإمام علي (ع) يجلس عادةً للقضاء أو الوعظ؛ حتى أنه قيل إنه في زمن زياد بن أبيه، كان المحدثون يسمّون الامام (ع) «صاحب الرحبة» خوفاً من سطوة زياد (مدني، ١٣٨٤: ٦١/٢). ويرى بعض علماء السنة أنّه لايبدو من الامام علي (ع) أن يُعرب عن مثل هذه الانتقادات والتصريحات حول الخلفاء الثلاثة، ولذلك يعتقدون أنه إذا لم يكن نهج البلاغة بأكمله من تأليف السيد الراضي، فإن هذه الخطبة على الأقل كتبها السيد الراضي ونُسبت إلى الإمام علي (ع). لكن الشبهة هذه بطلت، وهذه الخطبة موجودة في كتب قبل نهج البلاغة، وقد رُويت إسنادها إلى الإمام علي (ع). وقد ذكر بعض الباحثين أن علماء الشيعة المشهورين كلّهم لم يقبلوا هذه الادعاءات (البحراني، ١٣٦٣: ٢٥١/١).

يقول ابن أبي الحديد: «ومن الذين رووا خطبة الشقشقية في مؤلفاتهم، قبل السيد الرضي، بشكل موثوق به عن الإمام علي (ع)، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) الذي قد ذكر هذه الخطبة مرة في علل الشرائع (الصدوق، ١٣٨٥: ١٥٠/١) ومرة أخرى في

معاني الأخبار» (الصدوق، ١٣٧٩: ٣٦١). وفي كلا الكتابين، يذكر الشيخ الصدوق إسنادين للخطبة، وبعد انتهاء الخطبة، يشرح كلماتها الصعبة. تشير هذه الخطبة إلى الحوادث الشديدة والصعبة التي نشأت بعد رسول الله (ص) لتغيير محور الخلافة، واختيار الشخص الأنسب لخلافة النبي (ص) بناءً على العقل والمنطق، ثم تشير إلى المشاكل الكبيرة التي نشأت للمسلمين بسبب الانحراف عن هذا الأمر ونصّ النبي (ص) الصريح في أمر الخلافة.

كما اعتبر بعض شارحي نهج البلاغة أن مصطلح «السيل» في الجملة السابقة يشير إلى المعرفة والحكمة اللامتناهية لعلي (ع)، والتي أشار إليها نبي الإسلام (ص) في الحديث الشهير «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (شوشتري، ١٤٣٧: ٤٦٨/٥-٥٠١). هنا يطرح بعض الأسئلة؛ أولاً، لماذا أثنى الإمام علي (ع) على نفسه بينما نعلم أنّ مدح النفس مذموم؛ لكنّه تجدر الإشارة إلى أن هناك فرقاً كبيراً بين مدح الذات وتقديم النفس كوسيلة للتعريف؛ أحياناً يجهل الناس شخصية ما وهذا الجهل، يمنعهم من الاستفادة منها بشكل كافٍ. فإن التعريف، سواء من الذات أو من الآخرين، ليس عيباً فحسب، بل هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله كطريق للنجاة، وفائدته الوحيدة هي مثل الطبيب الذي يصف الأدوية ويرشد الناس ويحل مشاكلهم. أمّا جملة «ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير» ففيه تأكيد. ما سبب ذلك؟ فجوابه أوضح من الأول، لأنّ أيّ شخص لديه أدنى صلة بتاريخ الإسلام والمسلمين يعرف المكانة الفريدة لأمير المؤمنين علي (ع) في العلم والحكمة. بالإضافة إلى الأحاديث العديدة التي رُويت عن النبي الكريم (ص) فيما يتعلق بعلم علي (ع)، وبالإضافة إلى حقيقة أنّ جميع العلوم الإسلامية، وفقاً لما قال جماعة من العلماء المسلمين، نشأت منه ويعتبر مؤسس هذه العلوم، كما نعلم حقيقة أنه في زمن خلفاء إذا حدثت مشكلة مهمة في مختلف القضايا الإسلامية ولم يتمكنوا جميعاً من حلّها، فقد لجأوا إلى علي (ع) وطلبوا منه الحلّ النهائي. لو درسنا الخطب والرسائل والكلمات القصيرة للإمام في نهج البلاغة لأدركنا هذه الحقيقة (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ١٧/١-٢٠).

وأمّا فلماذا فضّل الإمام علي (ع) الصبر؟ يشهد التاريخ بوضوح أنّ المنافقين وأعداء الإسلام كانوا ينتظرون وفاة النبي (ص) عن ولع، واعتقد كثير منهم أنّ وفاة النبي ستُدمّر وحدة المسلمين وتُهيّيء الظروف لحركة ثورية مضادة، وسيكونون قادرين على تحطيم الإسلام الناشئ. في مثل هذه الظروف، لو نهض علي (ع) للمطالبة بحقّه، أو بعبارة أخرى، لإعادة المسلمين إلى الإسلام الحقيقي في عهد النبي (ص)، بالنظر إلى القرارات التي اتخِذت لإبعاده عن الخلافة، لكان من المؤكد أنّ الصراع بين الأمة الاسلامية حتم مقضيّ، ولأصبح المجتمع الإسلامي فوضوية للغاية بحيث مُهّد الطريق للمنافقين والأعداء لتحقيق نواياهم الشريرة. كما أنّ فرقاً مثل «أهل الردة» لثارت على الأمة الإسلامية مباشرة بعد وفاة النبي (ص) وقمعت بوحدة الشعب الاسلامي؛ فهذه دلائل واضحة على تلبس الامام بالصبر (ابن هشام، د.ت: ٣١٦/٤).

أسباب ترك الخلافة

«أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي» (خطبه/ ٣٧) أتظنونني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله إني أول من آمن به! فلا أكون أول من أنكره. تأملت في عملي فرأيت أن وجوب الطاعة مقدم على بيعتي للخلفاء، وفي الوقت نفسه، وللحفاظ على الإسلام، فإن على عاتقي بيعة الآخرين. يبدو أنّ الخطبة كانت ذات أجزاء متفرقة ومن خطبة طويلة انتزع منها السيد الرضي هذا الجزء الخاصّ. ولذلك، لا يُرى أحياناً ترابط وثيق بين أجزاء الخطبة، مع أنه من الممكن ربط أجزاء الخطبة المختلفة بعضها ببعض من خلال قدر معين من الواجبات والفرائض. هناك احتمال في تفسير هذه الجملة، وهو أنّ الإمام (ع) يقول: إنّي وإن بايعت الخلفاء، فلم يكن ذلك لأني أراهم أحق، بل أمر النبي (ص) بمنع الخلاف والانقسام بين المسلمين. أتظنون أنّي نسبت هذا الكلام إلى النبي كذباً، أم تظنون أنّني أترك أمره؟! لذلك بايعت الخلفاء وترفعت عن حقوقي لمدة قصيرة امتثالاً لأمره. هذا التفسير أقرب إلى الجمل التالية، ولذلك يبدو أنسب. ثم يشير الامام إلى هذه النقطة: فتأملت في عملي، فرأيت أن ضرورة طاعة أمر النبي صلى الله عليه وسلم قد تقدمت على

بيعتي للخلفاء، وفي الوقت نفسه، ومن أجل الحفاظ على وجود الإسلام، فإن بيعة غيري في عنقي: «فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وَ إِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي».

مع أن تفسير العبارة المذكورة، وهي من الجمل المعقدة في نهج البلاغة، قد تباينت فيه آراء شارحي نهج البلاغة، إلّا أنّ ما ذكرناه آنفاً يبدو أنسب وأجدر. وكأنّ العبارة جوابٌ لسؤالٍ مقدّر في الأذهان، وهو: إذا كان الإمام يعتبر نفسه أحقّ الناس بالخلافة، بل يقول صراحةً: «لقد نصبنى النبي صلى الله عليه وسلم وجعلني لهذا المنصب»، فلماذا خضع لهم وبايعهم في عهد الخلفاء الثلاثة؟! فيجيب الإمام بأنّ النبي (ص) أمره ألّا يخوض معهم إذا خالفوه من أجل حفظ الإسلام، بل عليّ أن أبايعهم على مصالح أهم مما يجب عليّ حفظه. لذلك، قبل أن أبايع الناس، نويت طاعة أمر النبي، وبعده كان على عاتقي هذا العهد والاتفاق وعليّ أن أكون وفيا له (مكارم الشيرازي، ١٣٨٦: ٣٩٧/٢-٤٠٢). وقد فسر بعض الشاحين الجملة الأولى كما قلنا أعلاه وقالوا إن وجوب طاعة النبي (ص) سبق البيعة مع الخلفاء. لقد أمرني بالخضوع في مثل هذه الظروف، ولكن في تفسير الجملة الثانية، قالوا إنّ معنى العهد الذي كان للإمام مع الآخرين هو نفس عهد النبي الذي أمر الإمام بعدم قتال أو منازعة تلك المجموعة وأنه لا يجوز معارضة هذا العهد (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ٢٩٦/٢). والذي يجعل هذا التفسير بعيداً عن العقل هو أنّ تعبير «غير» ليس تعبيرًا مناسبًا للنبي. ومن التفسيرات التي ذكرها البحراني، قول الإمام: قبل أن يبايعني الناس أعلنوا طاعتهم، وكان ذلك عهداً منهم على عاتقي، فلم يكن أمامي إلا أن أقوم وأستجيب لدعوتهم وأقبل بيعتهم وأقوم بأمر الحكومة (البحراني، ١٣٦٣: ٩٧/٢).

الحجة على الخلافة

وَ مِن كلام لهُ (ع): «قالوا لما انتَهَت إلى أميرالمؤمنين (ع) أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله (ص)، قال (ع) ما قالت الأنصار؟ قالوا قالت: منّا أمير و منكم أمير. قال (ع): فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟ قَالُوا وَمَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ (ع) لَوْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ. ثُمَّ قَالَ (ع) فَمَا ذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قَالُوا احْتَجَّتْ بِآنِ هاشَجَرَةُ الرَّسُولِ (ص). فَقَالَ (ع) احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَة» (خطبه/٦٧) لماذا ما احتججتم لدى الأنصار الذين اعتقدوا أن يكون منا خليفة ومن المهاجرين خليفة، بهذا الحديث النبويّ حيث قال صلى الله عليه وسلم عنهم: «أحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم». فقال الحاضرون: «ما هي الحجة المفهومة من الحديث عليهم؟» قال الإمام (ع): «لو كان فيهم سلطان وإمامة لما وصى بهم المهاجرون». ثم قال: «فيم حاجّت قريش؟» قالوا: «حجتهم في أولويتهم في الخلافة أنهم من ذرية رسول الله (ص) وقرابته». قال: «يحاجّون في أصل أضاعوا فرعه!» (مكارم الشيرازي، ١٣٨٦: ١٠٧/٣-١٢٢). يتألف هذا القول عمومًا من ردّين، انطلاقًا من ادّعاءين حول خلافة النبي (ص). أولًا، في سقيفة بني ساعدة، حيث اجتمعت جماعة من الصحابة لنصب خليفة وجعله، دون مراعاة وصية النبي (ص) في هذا الشأن، أراد الأنصار خلافة شورى يُنتخب فيها أحدهم والآخر من المهاجرين. فردّ عليهم الإمام (ع) باستدلالٍ دقيق من حديث النبي (ص). أما الثاني، فهو حجّة المهاجرين في أهليتهم للخلافة. وقد أخذ الإمام علي عليه السلام حجّتهم، فاستخدمها ليُجادلهم بنفس الحديث بأنّه إن صحّ حجّتكم، فإنّ أهل بيت النبي (ص) أحقّ بالخلافة منكم.

قدّم الشارح البحراني احتمالين بشأن الثمرة المذكورة أعلاه. أولاً، أن الثمرة تُشير إلى عليّ (ع) وذريته، وثانياً، أنها تُشير إلى السنة الإلهية التي أصبحت مقدرّة على أن يكون عليّ (ع) يليق للخلافة والوصاية. ومن الواضح أن الاحتمال الثاني، وإن كان نهائيا مُوافقاً للاحتمال الأول، إلّا أنه بعيدٌ جدّاً لحدّ ذاته. وإذا كان النسب يعنى القرابة مع النبيّ (ص)، فإن الثمرة لا تكون إلّا صلة قرابة بأهل البيت (ع) (المرجع نفسه: ١٠٧-١٢٢). ويروي ابن أبي الحديد عن بعض المؤرخين المشهورين أن سعداً لم يُبايع في خلافة أبي بكر، وظلّ مُنسحباً حتى توفي أبو بكر. ثم في عهد عمر، وقع بينه وبين عمر خلاف، فقال سعد لعمر: «العيش

معك في المدينة كريه عليّ، وأنت أبغض الناس إليّ في هذه البيئة!» فقال عمر: من لم يرضَ بالعيش مع أحد فليذهب إلى غيره. فقال سعد. وبعد قليل، نُقل إلى الشام ومكث فيها مدة، ثم ودع جسده الفاني، ولم يبايع أبا بكر ولا عمر (الطبري، ١٤١٣: ٢/٤٥٥).

أحق الناس بالخلافة

ومن خطبة له (عليه السلام) لما عزموا على بيعة عثمان «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي؛ وَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ» (خطبه/٧٤) وأنتم تعلمون يقيناً أنّني أحقّ بالخلافة من غيري. وأقسم بالله لئن استقامت شئون المسلمين ولم يكن ظلم إلا عليّ لأستسلمنّ، راجياً ثواب الله وفضله، تاركاً زينة الدنيا وزخارفها التي تعلقتم بها (أحمد زاده، ١٣٧٦: ٥٥). يشير آية الله مكارم الشيرازي إلى المعنى مختلفا: أنتم تعلمون علم اليقين أنّي أحقّ بهذه الخلافة من غيري، ولكنكم لسوء نواياكم، واعتقادكم بأنّي لست في سبيل مصالحكم الشخصية، منعتموني، لكن والله! إلى متى استقام أمر المسلمين وسلك عثمان طريق السلم ولا يكون هناك مظلوم إلّا إيايّ، فإنّي سأختار الصمت حتى أنال ثواب الله وفضله وأكون انسانا ورعاً فيما تتنافسون فيه من الذهب والزينة (مكارم الشيرازي، ١٣٨٦: ٣/٢٢٢-٢١٣). أدلى الإمام (ع) صراحة بشأن عثمان عشية انتخاب مجلس عمر المكون من ستة أعضاء. وكما نعلم، فقد عيّن عمر عشية وفاته مجلساً من ستة أشخاص لانتخاب الخليفة من بعده يتشكل من عليّ (ع)، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وكلّف جماعة بالضغط على هؤلاء الستة لانتخاب شخص من بينهم خليفةً للمسلمين خلال ثلاثة أيام. ولأن علياً (ع) رفض الشروط غير المشروعة لبعض أعضاء المجلس، فمالوا إلى عثمان وصوّتوا له وانتخبوه خليفةً. ولا شك أن الإمام لم يسكت عن عثمان ولم يرضَ بأفعاله. إن الاعتراض على نفي أبي ذر إلى ربذة وبعض أفعاله الأخرى يُظهر بوضوح أن الإمام (ع) كان يعترض على أفعال عثمان، ومن الأدلة الواضحة على هذا المعنى ما رُوي عن الإمام (ع) في أواخر حياة عثمان، حين علم عثمان باجتماع المسلمين من مختلف البلاد الإسلامية في المدينة، فجاء بنفسه إلى منزله وقال: «إنّ لك مكانة عظيمة بين الناس، والجميع يسمع كلامك. إن الوضع الذي تراه خطير للغاية، فأريد منك أن تُكلّمهم وتُثنيهم عن طريقهم». سأل الإمام (ع): «على أيّ شرط أُرضيهم وأُثنيهم؟» قال عثمان: «على أن أعمل من الآن فصاعدًا برأيك». قال الإمام (ع): «لقد كلمتك مراراً على المنكرات ووعدتني، ولكنك استمعت إلى كلام مروان ومعاوية وابن عامر، ونكثت عهدك معي». إلّا أنّ الإمام (ع) قبل وعد عثمان المتجدد بإصلاح أساليب خلافته الخاطئة، وبموافقة ثلاثين من المهاجرين والأنصار، كلم من قدموا من مصر وثاروا على عثمان، فوافق المصريون على العودة إلى مصر.

هذا الكلام يدلّ بوضوح على أن الإمام (ع) كان قد اعترض على أفعال عثمان مراراً، وعاهده على إصلاح حاله، إلا أن عثمان تأثر بفتاوى مروان ومعاوية، فلم يُصلح حاله ولو ظاهراً (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ٢/١٢٩). وما ذكرناه عن حال مدخل الخطبة يُثبت بوضوح أن الاحتمال الثاني أقوى. ولدينا أيضًا أدلة أخرى واضحة تُقوّي الاحتمال الثاني. نعم، إن الشورى التي كانت، حسب ابن أبي الحديد، سبب كل الفتن التي حدثت بعد وفاة عمر، بل وكل الفتن التي ستحدث بين المسلمين إلى آخر الدنيا، كانت من تلك المؤامرة القبيحة التي أدّت إلى قيام عثمان فكانت نهايتها مؤلمة للغاية، ثم ولاية معاوية في الشام ومعارك صفين والنهروان والجمل، وغير ذلك من الحوادث (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ١١/١١؛ الهاشمي الخوئي، ١٤٠٠: ٥/٢٢٣).

السبب الرئيسي لاغتصاب الخلافة

«ومن كلام له (ع) لبعض أصحابه و قد سأله: كيف دفعكم قومُكم عن هذا المقام وأنتم أحَقّ به؟ فقال:«يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً وَالْأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ (ص) نَوْطاً فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ؛ وَالْحَكَمُ اللَّهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ» (خطبه/١٦٢) قال الإمام (ع) ردّاً على

الرجل من بني أسد، «يا أخا بني أسد! أنت رجل مضطرب ومتحير حيث تسأل في غير وقته، ومع ذلك لك احترام القرابة والحقّ في السؤال. الآن إذا أردت أن تعرف فاعلم؛ وأمّا حقيقة أن البعض أخذوا هذا المنصب منا واحتكروه لأنفسهم، ونحن أعلى نسباً وقرابتنا برسول الله (ص) أقوى، فسببه الأنانية والاحتكار الناتج عن جاذبية الخلافة، بخلوا على الآخرين واغتصبوا حقنا بغير استحقاق، وأما الفئة الأخرى أي الإمام نفسه وبني هاشم، فتجاهلوا عن ذلك بسخاء. سيحكم الله بيننا وبينهم، وكل واحد راجع إليه يوم القيامة (مكارم الشيرازي، ١٣٨٦: ٦/٢٨٣-٢٨٦).

يعتقد البعض، كابن أبي الحديد والمغنية، أنّ السبب هو أن إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، زينب بنت جحش، كانت من بني أسد، ويرى آخرون أن علياً عليه السلام قد اختار زوجة من بني أسد؛ مع أنه لم يرد ذكر لذلك في الروايات. أما مصطلح «قلق الوضين» فمركب من الوضين بمعنى الحزام أو الحبل الذي يُربط به لجام الجمل أو الفرس من تحت بطنه، و«قلق» يعني فضفاضًا. ومن البديهي أنه إذا كان هذا الحبل أو الحزام فضفاضًا، فإن سرج الجمل وحزامه سيتحركان باستمرار؛ ولذلك يُطلق على الشخص القلق والمضطرب اسم «قلق الوضين». إنّ عبارة «حقّ السؤال» تعبيرٌ بليغٌ يُظهر أن لكلِّ فردٍ الحقَّ في سؤال إمامه، بل وإلزامه بالإجابة؛ إلّا إذا كان هناك مانعٌ خاصٌّ (المرجع نفسه: ٢٨٣-٢٨٦). ويُكمل الإمام (ع) حديثه قائلاً: «وأما أنَّ قومًا انتزعوا منّا هذا المنصب واحتكروه، ونحن أعلى نسباً، وقرابتنا برسول الله (ص) أقوى، فبدافع الأنانية والاحتكار الناتج عن إغراءات الخلافة، بخلوا على غيرهم، واغتصبوا حقَّنا بغير أهله، وقومٌ آخر، يُشير إلى نفسه وبني هاشم، غفلوا عنه بسخاء. والله يحكم بيننا وبينهم، وكلٌّ إليه راجعٌ يوم القيامة». و«الاستبداد» مشتق من «بدد» أي: أبعد وفرق، فهو أن يتولى الإنسان الشيء ويبعد عنه الآخرين.

هنا يذكر الإمام (ع) السبب الرئيسي لاغتصاب الخلافة، مع كلّ ما كان للإمام من فضائل، وهو مسألة الجور والبخل، التي أغمضت عيون فئة عن الحقائق، ودفعتهم إلى رفض من كان له الأحقيّة على عجل، فركبوا كرسيّ الخلافة. ومن الواضح أنّ هذه الفئة هم الذين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة للاستيلاء على الخلافة؛ مع أن ابن أبي الحديد، بسبب بعض التعصب، يريد ربط ذلك بمجلس عمر المكون من ستة أعضاء ومعارضة «عبد الرحمن بن عوف» لخلافة علي (ع)، وهو في الواقع أشبه بإنكار البديهيات. لأنّ سؤال السائل كان عن مبدأ الخلافة بعد رسول الله (ص)، وجواب الإمام (ع) حول الخلافة، وهو شبيه بما ورد في حديث آخر للإمام (ع) بهذا الخصوص. ومعنى قوله (ع): «وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ» أننا بنو هاشم لما رأينا إصرار تلك الجماعة الغريب على الاستيلاء على الخلافة، ورأينا المقاومة سبباً لانهيار نظام المجتمع الإسلامي، غضضنا الطرف عنها بسخاء، وتخلينا عن أي نوع من المقاومة (حسيني الخطيب، ١٤٠٥: ٢/٣٧٧).

النتيجة

بناءً على ما تقدم من خطب و تحاليلها، يُمكن القول إنّ الإمام علياً (ع) كان يؤمن بمبدأ الإمامة والخلافة المنتخبة عن طريق البيعة والشورى، وكان وفياً له. ومع أنّه اعتبر نفسه أحقّ وأنسب بخلافة النبي (ص) بكل الطرق، وأكد عليه مراراً وتكراراً من البداية إلى النهاية، إلّا أنّه لم يحاول قطُّ إلى السلطة السياسية مهما كلف الأمر؛ ولكنه في الوقت نفسه، منذ حادثة السقيفة وحتى استشهاده، ورغم الانتقادات التي وُجهت إليه حول طريقة انتخاب الخلفاء وبعض سياسات وممارسات الخلفاء الذين سبقوه، فقد احترم اختيار الشعب نظرياً وعملياً، بل أقرّ بشرعية هذا النظام. إنّ اتباع الخلفاء الثلاثة السابقين ودعمهم، وإن كان بمنهج نقدي، لا معنى له ولا تفسير آخر. يُستدل من النصوص الإسلامية، سنية كانت أم شيعية، ومن نهج البلاغة، أن علياً (ع) اعتبر الخلافة والإمامة حقّاً أساسياً للشعب، لا حقاً سماوياً ودينياً لفرد أو نسب أو عائلة معينة. ولم يُشر قطُّ إلى الشرعية الإلهية الأصيلة للخلافة، لا لنفسه ولا لغيره.

المصادر

القرآن الكريم.

نهج البلاغة. (١٤١٤). تحقيق: صبحي صالح. قم: هجرة.

ابن خلدون، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد. (د.ت). مقدمة، المجلد الأول، الطبعة الرابعة، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني. (١٣٨٥). تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت: دار الهداية.

ابن حمدون، محمّد بن حسين. (١٩٩٦). التذكرة الحمدونية. بيروت: دار صادر.

ابن قتيبه الدينوري، عبدالله بن مسلم. (١٣٨٧). الإمامة والسياسة. تحقيق: طه محمّد الزيني. قاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر و التوزيع.

ابن هشام، عبدالملک بن هشام. (د.ت). السيره النبويه. بيروت– لبنان: دار المعرفه.

أحمد زاده، ناصر. (١٣٧٦). نهج البلاغه : الخطب، الرسائل والحكم. طهران: أشرفي.

بحراني، ميثم بن على بن ميثم. (١٣٦٣). شرح نهج البلاغه. بلامكان: مكتب نشر الكتاب.

بلاذري، أحمد بن يحيى.(١٤١٧). أنساب الاشراف. تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي. بيروت: دار الفكر.

التميمي البستي، محمّد بن حبان. (١٣٩٥). الثّقات. تحقيق: السيّد شرف الدّين أحمد. بيروت: دار الفكر.

حسيني الخطيب، عبدالزهراء. (١٤٠٥). مصادر نهج البلاغه وأسانيده. بيروت: دار الأضواء.

ذهبي، شمس الدّين. (١٤٠٧). تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبدالسّلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي.

راغب أصفهاني، حسين ين محمّد بن مفضل. (١٤٠٤). المفردات فى غريب القرآن. قم: نشر الكتاب.

زارع، سعيد. (١٣٨٤). پرتوى از نهج البلاغه. طهران: آل صمد.

سلطاني، علي أصغر. (١٣٨٤). السلطة، الخطاب واللغة: آليات تيار السلطة في الجمهورية الإسلامية. طهران: ني.

الشريف الرضي، محمّد بن حسين. (١٤١٤). نهج البلاغة. تحقيق: صالح صبحي. قم: هجرت.

شريف الرضى، محمّد بن حسين.(١٣٨٨). ترجمة نهج البلاغه. ترجمة حسين انصاريان. قم: دار العرفان.

شعراني، أبوالحسن. (١٣٨٦). الأبحاث القرآنية للعلامة شعراني في التفاسير: مجمع البيان، روح الجنان ومنهج الصادقين. تحقيق: محمد رضا غياثي الكرماني. قم: بوستان كتاب.

شوشتري، قاضي نورالله. (١٤٣٧). إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل. تصحيح: سيّد شهاب الدّين مرعشي نجفي وآخرون. قم: المكتبه الإسلاميّه،كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى.

صدوق، محمّد بن علي. (١٣٧٩). معاني الأخبار. تصحيح: على أكبر الغفاري. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. صدوق، محمّد بن علي. (١٣٨٥). علل الشرائع. نجف: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها.

صفايي، علي؛ سلطاني، بهروز. (١٣٩٥). «تحليل الخطاب النقدي لرسالة الإمام علي (ع) إلى معاوية». مجلة الدراسات اللغوية. ج ٧، ش ٧، ٢٣-٤٩.

الطالقاني، محمود. (١٣٧٤). شعاع من نهج البلاغة. المحقق: السيد محمد مهدي جعفري. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

طبري، محمّد بن جرير. (١٤١٣). تأريخ طبري. تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّه.

طباطبائي، محمّد حسين. (١٣٩٣). الميزان في تفسير القرآن. بيروت – لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

فيض الاسلام اصفهاني، علي نقي. (١٤٠٥). ترجمة وشرح نهج البلاغة: الخُطَب والرسائل والأقوال الموجزة لأمير المؤمنين عليه السلام. طهران: فقيه.

قهرماني، علي؛ بيدار، فاضل. (١٣٩٨). «التحليل التداولي النقدي في نهج البلاغة وفقاً لنظرية نورمان فيركلاف». الحوث الإمامية. ج ٥، ش ٩، ١٧٥-١٩٨.

كاشاني، فتح الله بن شكر الله. (١٣٣٦). منهج الصادقين في إلزام المخالفين. طهران: الإسلاميّه.

كاظمي، إلهام؛ أميري، جهانغير؛ معروف، يحيى و مريم تركاشوند. (٢٠٢٢). تحليل الخطاب النقدي في رواية "أحدب بغداد" على ضوء نظرية "فيركلاف". دراسات في السردانية العربية. ج ٣، ش ١ (پياپى ٥)، ٢٨٤-٢٥٥.

گراوند، مجتبى؛ ولوي، علي محمّد؛ نظر زادة، زهرا. (١٤٠١). «تحليل الخطاب النقدي للعدالة التوزيعية في سيرة علي (ع) مع التركيز على الرسالة ٥٣ من نهج البلاغة». مجلة البحوث العلوية، ج ١٣، ش ٢٥، ٢٩٣-٣٢٠.

مدني، علي خان بن احمد. (١٣٨٤). الطراز الأول. مشهد: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

مفيد، محمّد بن محمّد. (١٤١٣الف). الإرشاد. قم: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث.

مفيد، محمّد بن محمّد. (١٤١٣ب). الجمل والنصرة لسيّد العترة في حرب البصرة. تحقيق: علي مير شريفي. قم: مؤتمر الشيخ مفيد.

مكارم شيرازي، ناصر. (١٣٨٦الف). رسالة قرآن. طهران: دار الكتب الإسلاميّة.

مكارم شيرازى، ناصر. (١٣٨٦ب). رسالة الإمام أمير المؤمنين (ع). طهران: دار الكتب الاسلاميّه.

موسوى بفروئي، محمّد؛ زارع زردينى، أحمد؛ زارعي محمود آبادي، حسن؛ إثنى عشري، فاطمة. (١٣٩٩). «تحليل مبادئ الممارسة السياسية للإمام علي (ع) في الرسالة ٦٤ من نهج البلاغة بناءً على منهج فيركلاف (تحليل الخطاب النقدي)». دراسات في فهم الحديث، ج ٧، ش ١، ٢٠٧-٢٢٩.

الزبيدي، مرتضى. (١٤١٤). تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار الفكر.

هاشمي خوئي، ميرزا حبيب الله. (١٤٠٠). منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. ترجمة حسن حسن زاده آملي ومحمّد باقر كمرهئي. طهران: المكتبة الإسلاميّة.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

سال هفتم، شماره دوم، پیاپی ۱۴، بهار و تابستان ۱۴۰۳ (۱۴۰-۱۲۹)

DOI: 10.30473/anb.2026.76635.1478

«مقاله پژوهشی»

تحلیل گفتمان انتقادی در نهج‌البلاغه، نمونۀ موردی مفهوم خلافت

ابراهیم نامداری[1*]، جواد خانلری[2]، ایوب امرائی[3]

۱. دانشیار گروه علوم قرآن و حدیث دانشگاه آیت‌الله بروجردی، بروجرد، ایران.

۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه پیام نور، تهران، ایران.

۳. دانشیار گروه علوم قرآن و حدیث دانشگاه آیت‌الله بروجردی، بروجرد، ایران.

نویسنده مسئول:
ابراهیم نامداری
رایانامه: enamdari@abru.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۴۰۴/۰۹/۰۳
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۴/۱۱/۲۶

استناد به این مقاله:
نامداری، ابراهیم؛ خانلری، جواد و امرائی، ایوب. تحلیل گفتمان انتقادی در نهج‌البلاغه، نمونۀ موردی مفهوم خلافت. دراسات حديثة في نهج‌البلاغة، ۷(۲)، ۱۲-۱.
(DOI: 10.30473/anb.2026.76635.1478)

چکیده

نظریۀ گفتمان انتقادی، بافت متنی را در کنار عوامل بیرونی دخیل در تولید متن (بافت موقعیّتی) تحلیل می‌کند. در این میان چگونگی بازنمایی تقابل‌های گفتمانی در متون تاریخی یکی از مهم‌ترین مباحث نظریۀ تحلیل گفتمان انتقادی است. خطبه ها با تولید شفاهی و انعکاس واقعی ارزش‌های حاکم بر جامعه، نقش مهمّی در تقویّت یا تضعیف گفتمان ایفاء می‌کنند. برّرسی خطبه‌های حضرت علی (ع) در جریان خلافت و بیعت عمومی مردم با ایشان پس از پیامبر اکرم (ص)، می‌تواند چرایی تقابل گفتمان علوی با گفتمان‌های حاکم بر جامعه را تبیین نماید. بعد از رحلت پیامبر اکرم (ص)، باور به خلافت انتخابی به گفتمان غالب مبدّل می‌شود؛ درحالی‌که مستندات روایی امامت و خلافت منصوص در جوامع روایی شیعه و اهل سنّت ذکر شده است و دانشمندان اسلامی به آن اذعان کرده‌اند. این تحقیق با استفاده از روش توصیفی تحلیلی و با تکیه بر نهج‌البلاغه، به بررسی و تحلیل گفتمان انتقادی سخنان حضرت علی (ع) در خطبه‌های آن در باب مفهوم خلافت می پردازد. نتیجۀ بحث نشان می دهد که حضرت علی (ع) به عنوان وصی و خلیفه بر حق نبی مکرّم اسلام محور خطابه و سخنان خود در نهج البلاغه را، بازتولید گفتمان حق در مقابل باطل قرار داده اند و با بهره گیری از ساختارهای زبانی و ایدئولوژیکی در انتقاد از گفتمان های حاکم، درصدد بازتولید گفتمان نبوی در امر وصایت و ولایت می باشد.

واژه‌های کلیدی

امام علی (ع)، نهج‌البلاغه، خلافت،تحلیل گفتمان انتقادی.

حق انتشار این مستند، متعلق به نویسندگان آن است. ۱۴۰۳ ©. ناشر این مقاله، دانشگاه پیام نور است.

این مقاله تحت گواهی زیر منتشرشده و هر نوع استفاده غیرتجاری از آن مشروط بر استناد صحیح به مقاله و با رعایت شرایط مندرج در آدرس زیر مجاز است.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)